الأديب

إبراهيم طوقان

إبراهيم طوقان الشاعر الملتزم

غالب عنابسة*

1. الأدب الفلسطيني في نهاية الحكم العثماني وفي ظلّ فترة الانتداب.

لم يأخذ الأدب الفلسطيني طابعه الخاص إلا مع بداية القرن العشرين، لكن قبل هذه الفترة كان يصنف ضمن الأدب العربي العام، الذي شهد تراجعا بدءا من القرن السادس عشر وحتى بداية القرن العشرين. في هذه الفترة لم يكن لفلسطين الاستقلال السياسي أو نوعًا من السيادة الذاتية، فضلا أن اللغة الرسمية كانت التركية. لذا بدأت تظهر المشاعر الفلسطينية لتأكيد هويتها أدبا وسياسة، ولم يكن التعليم على أحسن أحوال بسبب قلة المدارس، والمعاهد التعليمية. فلم تكن مدرسة ثانوية واحدة في القرى، فضلا عن فرض الرقابة على الكتب والمنشورات، وشعر الفلسطينيون أنهم خسروا الثقافة والأرض. وهذا ما غذى لديهم الشعور القومي والوطني، برز ذلك من خلال كتاباتهم وأشعارهم، التي اعتمدت على الأساليب القديمة واللغة الفصحى، لغة القرآن الكريم. لكن هذا الأمر لم يف بجميع المبتغى بسبب فقدان الهوية.[1]

1.1 الشاعر في سطور

ولد الشاعر إبراهيم عبد الفتاح طوقان في مدينة نابلس بفلسطين سنة 1905م، وفي ظل هذه المدينة العابقة بالتاريخ والوطنية والثورة، وبجمال بساتينها وسهولها كما وصفها من

---

* محاضر في أكاديمية القاسمي.

[1] Reincarnating Palestine literature: British Modernism and the British of al-hadatha, in: *Britain and the Muslim world*: historical Perspectives, University of Exter 17- 19, April, 2009.

قبل بعض الرحالة المسلمين في مؤلفاتهم، رأى إبراهيم طوقان نور الحياة.[1] وهو ابن لعائلة طوقان الثرية والمحافظة، وهو الأخ الشقيق للشاعرة فدوى طوقان.

لقد تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية في نابلس بين أعوام 1914 وحتى 1918، وكانت هذه المدرسة تنهج نهجًا حديثًا مختلفا لما كانت عليه المدارس في أثناء الحكم العثماني، وذلك بفضل أساتذتها الذين درسوا في جامع الأزهر الشريف، وتأثروا في مصر بالنهضة الأدبية والشعرية الحديثة.[2]

ثم أكملَ دراسَتَه الثانوية في مدرسة المطران في الكلية الإنجليزية في القدس عام 1919 لأن نابلس آنذاك لم تعرف التعليم الثانويّ،[3] حيث قضى في المدرسة أربعة أعوام، وتتلمذ على يد الأديب "نخلة زريق" الذي كان له تأثير كبير في محبة اللغة العربية والشعر القديم عليه.[4]

---

[1] حيث يطلقون على المدينة لقب "دمشق الصغرى"، وتسمى أيضا "جبل النار" غالب عنابسة. روايات شفوية مختارة عن فضائل مدينة نابلس في أدب فضائل فلسطين، ص21-30 (بالعبرية) . قارن: G, Le Strange. *Palestine under the Muslims*, pp. 197- 200.

[2] محمد حسن عبد الله. إبراهيم طوقان، حياته ودراسة فنية في شعره. ص12- 15.

[3] ن.م، ص12. ثمة مصادر أولية كتبت عن الشاعر نذكر منها: عمر فروخ، شاعران معاصران طوقان والشابي؛ البدوي الملثم. (يعقوب العودات) إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته. 1964؛ زكي المحاسني، إبراهيم طوقان. شاعر الوطن المغصوب. (1956)؛ عبد اللطيف شرارة. إبراهيم طوقان، دراسة تحليلية. 1964؛ وليد جرار. شاعران من جبل النار: إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود. 1984؛ حنا أبو حنا، ثلاثة شعراء. 1995. قارن: شموئيل موريه. التيارات الفكرية في الشعر العربي المعاصر، ص31-49، هناك، قلب امرأة من الشرق – **دراسات في شعر فدوى طوقان**، ص112-123 (بالعبرية). أيضا: Salma khadra Jayyusi. *Trends and movements in Modern Arabic Poetry*, pp. 285-300; idem, Khadra Jayyusi, Salma. (Ed): Anthology of Modern Palestinian Literature, 1992.

[4] عادل مناع. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800- 1981. ص192- 193؛ المتوكل طه. حدائق إبراهيم، أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره. ص42؛ الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية

من ثمّ التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1923 ومكث فيها ست سنوات، نال فيها شهادة الجامعة في الآداب عام 1929م،[1] وبين الأعوام السابقة التي قضاها في بيروت، عرفه أخوه أحمد بالأستاذ سعيد تقي الدين الناقد، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير)، ثم عقد صداقة مع شعراء آخرين مثل عمر فروخ، وجيه البارودي، وحافظ جميل. وفي نفس العام طلب منه والده التدريس في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس، فاشتغل عاما دراسيا واحدا، وفي هذه السنة نظم قصيدته المشهورة "الثلاثاء الحمراء" تخليدا للشهداء: فؤاد حجازي، محمد جمجوم، وعطا الله الزير الذين أعدموا عام 1930.

منذ عام 1924 ابتلي ببعض الأمراض التي أثرت عليه، وعلى إنتاجه الأدبي لاحقا، لقد عَمِلَ إبراهيم ما بين العامين (1931 – 1933) مدرسًا للغة العربية في الجامعة الأمريكية، لكنه كان ينقطع عن التدريس بسبب المرض فاتهمته الجامعة بالتقصير.[2] لقد انتهزها الشاعر أن يتعرف على المستشرق، نيكل (تشيسوكلوفاكيا) عام 1932، وأشركه في تصحيح كتاب "الزهرة" لأبي داود الأصفهاني.[3] ثم عاد بعدها إلى أرض الوطن ، ليعمل مدرسا في المدرسة الرشيدية في القدس. ولكن المرض الذي أصيب به في معدته منذ أن كان طالبا في مدرسة المطران، اشتد عليه، فأجريت له عملية ناجحة، ثم ترك التدريس بعدها وعاد إلى نابلس

والأدبية في فلسطين- المعلم نخلة زريق- رائد تعليم العربية في فلسطين 1861- 1921؛ الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين رام الله، 2010.

[1] ن.م ص 13. في عام 1924 نشر قصيدته المشهورة ملائكة الرحمة، ولقب بشاعر الجامعة في بيروت، يوسف بكار. إبراهيم طوقان: دراسة جديدة ومختارات. ص15، يوسف بكار، أضواء جديدة. ص52- 89. وفي عام 1926، أنشأ حلقة دار الندوة، مع أصدقائه، وجيه البارودي (سوريا)، حافظ جميل (العراق)، وعمر فروخ (لبنان).

[2] فدوى طوقان أخي إبراهيم. 17- 20؛ عمر فروخ، شاعران معاصران، طوقان والشابي. ص38- 77.

[3] F, Bajrakarevic. "Ibn dawud", In: *EI²* leiden, v. 9, 1993, p.90; and see the reviews of Book, D.S, Margoliouth. Kitab al-Zahrah, *Journal of the Royal Asiatic Society*, v. 67, 1935, pp.188- 198. And this Book edited by A.R. Nickel in collaboration with Ibrahim Tuqan, Chicago University, 1932.

ليعمل سنتين في دائرة البلدية، نظم خلالها القصائد الوطنية التي صور فيها وضع فلسطين آنذاك تصويرا صادقا. وفي العام 1936 تسلم القسم العربي في إذاعة القدس وعُين مُديرًا للبرامجِ العربية[1]، وتعرف على سامية عبد الهادي زميلته في الإذاعة عام 1937، وتزوجها فأنجبت له مولودين (جعفر وعريب). وأقيل من عمله من قبل سلطات الانتداب عام 1940. إثر ذلك انتقل إلى العراق وعملَ مدرسًا في مدرسة دار المعلمين الريفية، لكنه غادرها بعد شهر واحد وكان يعاني مرضا في العظام، فأنهكه السفر، ثم عاد إلى مدينة نابلس مريضا، ثم حمل إلى المستشفى الفرنسي بالقدس حيث توفي في مساء يوم الجمعة 2 أيار، عام 1941م . وهو في سن الشباب لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره.[2]

يشير الباحث محمد حسن عبد الله، إلى أن الكثير من النقاد اعتبروا طوقان اكبر شعراء فلسطين في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين،[3] لكن ربما بسبب القضايا المميزة التي تناولها، ولآرائه في الأدب والنقد واللغة.

---

[1] لقد عمل معه صديقه أبو سلمى في مصلحة الإذاعة الفلسطينية في القدس، فدوى طوقان لسيرتها، رحلة جبلية رحلة صعبة. 90.

[2] يوسف بكار. مصدر سابق، ص20. يقول إبراهيم إن المرض كالعمر والرزق، والتوفيق والفشل، وأنا من بين إخوتي الباقين (وعددهم تسعة) حملت بي الوالدة أم أحمد إثر مرض خطير كان أشرف بها على الموت، فكنت في أحشائه عندما كانت في دور النقاهة، وأعضاء جسمها وقوتها بوجه العموم ضعيفة، فجئت (مركبا) على مرض وضعف. المتوكل طه. حدائق إبراهيم، أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره. ص49. قارن: زكي المحاسني. إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب. ص89 يوازن بين الشابي وطوقان بسبب الآلام الذاتية. وفدوى طوقان في أخي إبراهيم. ص17 تقول بان المرض أثر في حياته ودراسته، وقبل تسع سنوات من وفاته نظم قصيدة في غادة اشبيلية، وهي فنانة تعرف علها في بيروت، جاء في الديوان، ص 127، عكا، د.س:

أرى الثلاثين ستعدو بِيَـــه مغيرةٌ أفراسُها في اقتــرابْ
وبعد عشر يلتوي عـوديَــه وينضَبُ الزيت ويخبو الشهابْ

[3] محمد حسن عبد الله. إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره. ص 5- 9. من جهة أخرى ثمة شعراء آخرون سطروا تاريخا في الحياة الأدبية في فلسطين نذكر على سبيل المثال: اسكندر البيتجالي. عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، مطلق عبد الخالق وغيرهم.

1.2 أعماله الشعريّة: ديوان إبراهيم طوقان.

لقد نشر إبراهيم طوقان شعره في الصحف والمجلات العربية، لكن نُشر ديوانه بعد وفاته تحت عنوان: " ديوان إبراهيم طوقان"، وقد طبع ديوانه، أول مرة، عام 1955 في بيروت (دار الشرق الجديد)، وفيه مقدمة مطولة عن حياته بقلم شقيقته الشاعرة فدوى طوقان، وقد حافظ شقيقه أحمد طوقان (رئيس وزراء الأردن الأسبق)، على القصائد التي اختارها إبراهيم وعددها (77) قصيدة واقتصر عمله على تشكيل بعض الكلمات، وشرح بعض المناسبات، وإضافة عشر مقطوعات غزلية، وبلغت أبيات هذا الديوان (1455) بيتًا تقريبًا، واحتوى هذه الديوان - بالإضافة إلى القصائد - مقدمة لأحمد طوقان وكتيبًا كانت قد أصدرته فدوى طوقان بعنوان: «أخي إبراهيم»، ثم رتبت القصائد حسب الموضوعات مع نشر بعض القصائد الطويلة منفردة، وقد ظلت هذه الطبعة تمثل الصوت الشعري المعروف لإبراهيم طوقان لجيل كامل من القراء العرب، وبقي الكثير من نتاجه الشعري مطموسًا لا يعرفه إلا قلة من المعاصرين للشاعر والمتصلين به. حتى جاءت دار القدس في بيروت عام 1975 وأصدرت طبعة جديدة لديوان الشاعر تُمّثل نقلة جديدة إذ ضمت الأشعار التي احتوتها طبعة دار الشرق، وأضافت إليها (36) قصيدة جديدة دون أن تذكر مصادرها، وبلغت أبيات هذه الطبعة (2132) بيتًا تقريبًا، وفيها قام الدكتور إحسان عباس بترتيب الديوان ترتيبا زمنيا ، وخصَّ الأناشيد بحيز خاص، كما أبقى على مقدمة فدوى وأضاف إليه دراسة بقلمه بعنوان "نظرة في شعر إبراهيم طوقان".[1]

وفي مقدمة شقيقه أحمد طوقان في كتاب يوسف عطا الطريفي لكتابه، إبراهيم طوقان حياته وشعره، نجد سبب تأخر صدور الديوان إذ يقول: " أما السبب في تأخير نشر الديوان حتى هذا العام، فهو أن المرحوم قد اختاره الله بجواره سنة 1941 ميلاديا، أثناء الحرب العالمية الثانية، أيام كانت الطباعة مراقبة والأفواه مكتومة، فآثرت الانتظار حتى يبدل الله

[1] لقد أصدرت مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، في الكويت عام 2002، الديوان تحت عنوان، الأعمال الشعرية الكاملة، من إعداد ماجد الحكواتي، وهي الطبعة الأكثر اشتمالا على شعره.

حالا بحال، ثم وضعت الحرب أوزارها، ودخلنا نحن أهل فلسطين، في صراع كانت أيامه أشد هولا علينا من أيام الحرب، ثم كانت نكبة العرب في فلسطين، وكانت الكارثة التي أذهلت الناس وشغلتهم عن كل شيء سواها" وفي سياق المقدمة يشير بأن أخاه إبراهيم قد رتب ديوانه بنفسه".[1]

من الملاحظ أنه ليس في "ديوان إبراهيم" كل ما كتبه شاعرنا، فقد آثر الناشرون أن يحافظوا إلى وقت قصير على ترتيب الشاعر لديوانه، وهو حال الطبعتين الأوليين، أن الشاعر نفسه حذف قصائد لم يشأ نشرها. ولكن إحسان عباس في تحريره للديوان في طبعته الجديدة، رأى أن يثبت ما يكمل جوانب الصورة ويوضحها، فأضاف "عددًا كبيرًا من القصائد التي لم ترد في الديوان الأول، بعضها ذو قيمة تاريخية، وبعضها ذو قيمة فنية، لكي تكون هذه الطبعة أكثر تمثيلاً لحقيقة إبراهيم وطبيعة شعره".

ثمة أمر آخر في الطبعة الجديدة هو الترتيب الجديد لقصائده وفق "المبدأ التاريخي"، خلافًا للطبعتين الأوليين اللتين رتبتا بحسب الموضوعات"، وهكذا صار بوسع الدارس أن يقرأ الديوان من منظار جديد؛ وهذا مفيد في تعرّف شاعرية إبراهيم ونموها وتكويناتها ومجالاتها.

1.3 مقالات وتفكّرات للشاعر

كتب إبراهيم طوقان القصة والمقالة والنقد الأدبي بالإضافة إلى الشعر. ومن ذلك: "جبابرة التأليف بين الأمس واليوم" وهي مقالة نشرها في مجلة الأماني البيروتية لصاحبها عمر فروخ، وقد وقع إبراهيم تلك المقالة بتوقيع (الأحنف) في العدد 30 سنة 1939، و"أدب

[1] يوسف علي الطريفي. إبراهيم طوقان حياته وشعره. مقدمة الكتاب، ص5- 15. وفي المقدمة الثانية في الكتاب نجد مقدمة ابنه جعفر ورد فيها:" من خلال معرفتي التجريدية لإبراهيم، استطعت أن أكوّن صورة فسيفسائية لهذا الرجل، مكونة من حكايات صغيرة، كل واحدة منها جميلة بحد ذاتها، وكل مجموعة فيها تحكي قصة متسلسلة، تحكي عن الجمال وتحكي عن الحب، حب الوطن وحب الآخر، وحب الخالق وحب الحياة، وبمجملها تشكل صورة الفسيفساء صورة إنسان رائع عشقته".

المنادمة عند أبي نواس" في العدد 14، و"مأساة ديك الجن الحمصي" في العدد 5 سنة 1941. ومن مقالاته وتمثيلياته التي عملها لدار الإذاعة: "مؤامرة على الفصحى"و "عقد اللؤلؤ" و"وفاء مزعوم"، و"أشواق الحجاز"، وغير ذلك من موضوعات.[1]

2. رواية الأخ في الذاكرة، فدوى طوقان: "أخي إبراهيم":[2]

تبدأ فدوى طوقان مقالتها متناولة ذاكرة أمها في حديثها عن شقيقها إبراهيم، فتقول: "لا أحب إلي من ساعة آخذ فيها مجلسي من أمي، فتحدثني عن طفولة شقيقي إبراهيم رحمه الله، ويا له شعورًا حزينًا، يتسرّب في شعاب قلبي، حين تفتتح حديثها عن إبراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها، والحسرة عليه، لقد بلوت في إبراهيم الحلو والمر، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم، أضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء.[3] ثم تشير إلى العوامل التي شكلت شاعرية إبراهيم، منها الدعم العائلي وكثره حفظه للشعر المنتخب القديم، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم، ولا نغفل إعجاب القراء والنقاد في القصائد الأولى التي نشرها مثل قصيدة ملائكة الرحمة وغيرها، وكذلك إعجاب الطلبة في قصائده عندما كان طالبا في الجامعة الأميركية في بيروت، حتى أنه لقب بشاعر الجامعة

---

[1] أعاد المتوكل طه جمع الرسائل والأحاديث في ملحق لرسالة الماجستير، إبراهيم طوقان: دراسة في شعره. عام 1992، ثم طبعت ثانية تحت عنوان، الساخر والجسد عام 1994؛ وكذلك ملحق طبع تحت عنوان، الكنوز: ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان عام 1999، وأعاد طبعه، من أوراق الشاعر إبراهيم طوقان. عام 2002، ثم نشر المتوكل طه رسائل إبراهيم لفدوى في كتيّب تحت عنوان، هذا ما لزم، رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى. عام 2000؛ وقد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 2004، قسطندي شوملي. الصحافة العربية في فلسطين. 1990، ص301- 302 حيث كتب ثلاثين مقالة وقصيدة في نفس هذه الصحيفة. قارن: المتوكل طه وآخرون، شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان، 2006، ص37- 86.

[2] نشر هذا المقال في العدد السادس من سلسلة الثقافة العامة التي كانت تصدر أعدادها المكتبة العصرية في يافا، عام 1946. وقد استخدمنا في الدراسة المقالة كما وردت في مقدمة ديوان إبراهيم طوقان، مؤسسة الأسوار عكا.

[3] فدوى طوقان: مصدر سابق، ص11.

وفق صحف بيروت. لكن من جهة أخرى تحاول أن ترصد تأثير البيئة عليه، نعني ما لقيه من بيئته من معاملة سيئة، نخص عمله في إذاعة القدس وما لاقى من صعوبات هناك، فبنيته النحيلة لم تحتمل كل هذه الآلام.[1] على حدّ قول شقيقته.

لا شك أن ما كتبته فدوى طوقان بخصوص أخيها إبراهيم، يعتبر من المصادر الأساسية لسيرة الشاعر، وهناك بعض الذكريات والأقوال لأهل الشاعر مثل أخيه أحمد، وأصدقائه مثل عمر فروخ، ووجيه البارودي.[2] وبهذا، فإن فدوى طوقان استطاعت أن تروي تفاصيل حياة كاملة نذرت للقضية الوطنية ومآثره الشعر المقاوم. يلمح المرء في روايتها ذلك التوازي الخاص والعام في سيرة تشتعل بالمحنة القومية في إهاب الشاب الوديع المتوجع المقبل على الحياة ثم تفاجئه المظالم وأسباب العدوان تتراكم على بني قومه من الانتداب البريطاني، وتخاذل المتخاذلين.

لا شك أن العلاقة التي ربطت بين إبراهيم وفدوى، منحت الشعب الفلسطيني تجربتين روحيتين، ويمكن اعتبار كلا منهما من خلال أشعارهما انعكاسا للتاريخ السياسي والاجتماعي للشعب الفلسطيني.[3]

[1] فدوى طوقان، مصدر سابق، 36- 37.

[2] يروي زكي المحاسني في كتابه، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، القاهرة دار الفكر العربي- بدون تاريخ) أن الشاعر وجيه بارودي من حماة نشر في ديوانه "بيني وبين الغواني" قصيدة شاركه في وضعها رفيقه وصديقه في الجامعة إبراهيم طوقان لكنها لم تكن هزلية فقال الطبيب: "إن القصيدة مثال مبتكر، امتزج روحانا بكل كلمة وبكل شطرة فجاءت قصيدة لا يستطيع ناقد مهما حقق ودقق أن يجد دليلاً على ينبوعها الثنائي" ص168؛ عمر فروخ. شاعران معاصران طوقان والشابي. ص121- 122. قارن: عبد الله أبو هيف. تجارب أدبية، أربعون عاما على وفاة إبراهيم طوقان، إشارات حول الشاعر والوطن والنقد. ص65- 88.

[3] المتوكل طه. هذا ما لزم، رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى. ص20- 21.

2.1 إبراهيم طوقان في منظار فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة

صدرت السيرة الذاتية للشاعرة فدوى طوقان عام 1985، تحت عنوان "رحلة جبلية رحلة صعبة" حيث تشير فيها إلى المحطات الرئيسية التي نسجت حياتها، منها العائلة والمجتمع المحافظيْن، والمكان وهو فلسطين التي تعيش بين عالمين، أحدهما مشرف على الموت، والآخر على أبواب الولادة.[1]

لكن مع عودة أخيها من بيروت، بعد أن تخرج من الجامعة، بدأت نقطة تحول في حياتها، حيث ملأ ما فقدته من حنان في طفولتها، بل وقدم الدعم الشخصي والإنساني لها، ورد في الرحلة: "مع وجه إبراهيم أشرق وجه الله على حياتي... ومع إقامة إبراهيم في نابلس بدأ سطر جديد في حياتي... على غير عادة رجال الأسرة كان يجلس معنا ... لقد كان إبراهيم المصحّ النفسي الذي أنقذني من الانهيارات الداخلية".[2]

مع ميل فدوى طوقان للشعر في طفولتها، كان أخوها ممن شجعها على نظمه بعد أن أتاح لها الاطلاع على قصائد من الشعر العربي القديم.[3] وتشير الشاعرة انه عندما مكث في بيروت للتدريس في الجامعة، بين عامي 1931 وحتى 1932 كان يبعث لها برسائل، أيقنت أنها تتقدم في نظم الشعر.

وإذن لقد شكلت علاقة الشاعرة فدوى بشقيقها الشاعر إبراهيم علامة فارقة في حياتها إذ تمكن من دفع شقيقته إلى فضاء الشعر، فاستطاعت - وإن لم تخرج إلى الحياة العامة- أن تشارك فيها بنشر قصائدها في الصحف المصرية والعراقية واللبنانية، وهو ما لفت إليها الأنظار في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي ومطلع الأربعينيات. وكان يطلب منها دراسة الشعر

[1] نعني نهاية الحكم التركي وبداية الاستعمار البريطاني. مقدمة الشاعرة فدوى طوقان لسيرتها، رحلة جبلية رحلة صعبة. عمان: دار الشروق، 1988، ص16.

[2] فدوى طوقان. رحلة جبلية. ص60- 62.

[3] ن. م. ص68- 71.

النيوكلاسيكي الممثلة بشوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما، وهي إشارة أن للتراث قداسة في وجدانه[1]

ما يجذب النظر أنها تشير إلى منحى الوطنية في شعر أخيها، تقول: "لا شيء يولد من الفراغ، فكيف بالشاعر الوطني؟ لقد نبت إبراهيم من أرض يجيش باطنها بالأحداث ومجتمع تكمن فيه البذور الثورية باستمرار، ومنذ قصيدته عن شهداء "الثلاثاء الحمراء" الأبطال أصبح إبراهيم صوت الإنسان الفلسطيني الذي التحم وجدانه الوطني والاجتماعي بالواقع المرفوض".[2]

ثم تشير إلى قضية أخرى ترتبط بإقالة إبراهيم من إذاعة القدس لأسباب وطنية، ففي رأي الصحافة العبرية كانت الموضوعات التاريخية التي يقدمها إبراهيم تهدف إلى الدعاية ضد السامية، تقول في رحلتها: " في الربع الأخير من عام 1941 وفي أكتوبر بالذات أقيل إبراهيم من عمله في الإذاعة، ... لم يكن يسعد الجهات الصهيونية إطلاقا وجود مثل إبراهيم في مؤسسة ذات خطر كبير في توجيه الرأي العام العربي في فلسطين. كان إبراهيم في نظر تلك الجهات عنصرا محرضا... كم وكم ثارت الصحافة العبرية ضده".[3]

---

[1] ن. م. ص 88. المتوكل طه. حدائق إبراهيم. مصدر سابق، ص722، في رسالة (رقم 14) يرسلها إبراهيم من القدس لأخته فدوى عام 1939م ، ويطلب منها قراءة ديوان إسماعيل صبري، يقول: الديوان صغير لكنه أفضل من ثلاثمائة ديوان صدرت حتى اليوم. وفي الحقيقة أن كلا من شوقي وحافظ (خصوصا شوقي)، كان يتأثر بأدب صبري وشاعريته "فاقرئيه وأطيلي النظر فيه". وفي رسالة عندما كان في بيروت في الجامعة الأميركية، (رقم 11)، يرشدها كيف تنجح في نظم الشعر، ن.م. ص722، المتوكل طه. هذا ما لزم. رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى. ص 121. قارن: يوسف بكار. أثر شوقي وحافظ إبراهيم في إبراهيم طوقان. فصول، 3: 2، ص256- 264.

ويبين لها الأخطاء في قصائدها المختلفة. ويظهر ذلك في الرسائل التي جمعها المتوكل طه في كتابه هذا ما لزم. رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى. 2000.

[2] ن. م ص86.

[3] ن.م، ص123.

سوف نشير لاحقا إلى وطنية الشاعر من خلال ما ورد في الرحلة، واقتبس ما تقوله بالنسبة للثالوث الذي صنع بدايات الشعر الفلسطيني، ورد لديها:" لقد أصبح شعره المحمل بحرارة هذا الواقع واشتعاله قويّ النفاذ في الوجدان الفلسطيني. ولم يلبث أن انضم إليه صوتان لا يقلان نفاذا، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) وعبد الرحيم ومحمود، تلميذ إبراهيم وصديقه، والذي استشهد فيما بعد وهو يدافع عن وطنه المغصوب في موقعة الشجرة عام 1948. وانضمت هذه الأصوات لتشكل الثالوث الذي صنع البداية للشعراء الفلسطينيين الذين راحوا يقدمون فيما بعد عطاءهم الشعري المتوهج على طريق الليل الطويل."[1]

3. الالتزام لدى الشاعر: الفكر السياسي والوطني نموذجا

توزع شعر إبراهيم طوقان بين الشعر الوطني والسياسي والغزلي والاجتماعي والتعليمي، فضلا عن المعارضات الشعرية، فكل ذلك يحتاج إلى دراسات خاصة، من هنا سيتم تناول الشعر الوطني بإيجاز في هذه الدراسة، لأنه الغالب على شعره.

ولا شك، أيضا، أن المسألة الوطنية طغت على سواها من مشكلات في حياة الشاعر، فكانت الشاغل الأساسي الذي طبع أيامه بطابعها ومن هذه الناحية، فإن قصائد إبراهيم طوقان هي بمثابة "وثائق" حيّة تشير إلى مراحل كفاح الشعب الفلسطيني العارم خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين".[2] وتشير فدوى طوقان في مقالتها - أخي إبراهيم- "ونلتفت

[1] فدوى طوقان. رحلة جبلية رحلة صعبة. ص86.

[2] البدوي الملثم. إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته. ص157؛ عبد الرحمن ياغي. حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة. ص 56- 78؛ نفس المؤلف. في الأدب الفلسطيني قبل النكبة وبعدها. ص92 1983؛ حمودة درويش. إبراهيم طوقان: حياته وشعره. ص115. قارن:

Reincarnating Palestine literature: British Modernism and the British of al-hadatha, in: Britain and the Muslim world: historical Perspectives, University of exter 17- 19, April, 2009; A, Abu Ghazaleh. Arab Cultural Nationalism in Palestine During the British Mandate, *Journal of Palestine Studies*, v.3, 1972, pp.37- 63.

عادل الأسطة. الوطن في أشعار إبراهيم طوقان. مجلة جامعة النجاح، عدد10، مجلد3، ص81- 108.

الآن إلى إبراهيم شاعر الوطن، الذي سجل آلام فلسطين وآمالها، خلال الانتداب الإنكليزي، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل".[1] لكن من جهة أخرى ثمة من شاركه هذا الالتزام نعني الشعر الوطني المقاوم مثل أبي سلمى، عبد الرحيم محمود، ومطلق عبد الخالق وغيرهم[2] ممن رصد الواقع الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين.

كان الوطن في شعره بارزا بعدما رأى أن العوامل السياسية الخارجية والداخلية تتخاذل أمام قضية شعب، فنظم قصائده للدفاع عنه، ولإنذار بان شيئا يمكن أن يحصل في كل وقت، تفاعلا وانسجاما مع قضيته الأساسية، فقد رأى بأن الشاعر الملتزم يجب أن يحذو حذو هذا النهج، وإذن ما دور الأدب في ظل الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية؟

لقد ظهر الاتجاه الوطني والسياسيّ في شعره في عدة محاور، نذكر من هذه المحاور: الدفاع ضد الهجمات الخارجية، السخرية من سوء التصرف الوطني، أهمية الأرض والوطن، والفدائي في شعره، والانشطارات الداخلية وغيرها من موضوعات.

---

[1] فدوى طوقان. أخي إبراهيم. ص29. ويعترض الباحث سليمان جبران على هذا في كتابه، نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب. ص53 ذاكرا بأن الكثير من الشعراء ممن واكب الحياة الفلسطينية في عهد الانتداب مثل وديع البستاني على سبيل المثال. ولكن قد يختلف عن غيره في أسلوبه المتميز والصور الفنية التي وظفها في شعرهن بسبب قراءته للأدب الكلاسيكي والأدب النيوكلاسيكي. بينما الباحث قسطندي شوملي. في كتابه، مدخل على دراسة الشعر الفلسطيني. مجلة جامعة بيت لحم، 4، 1985، ص19، يذكر بأن الشاعر كان أكثر الشعراء إلحاحا على هذا الإحساس بالضياع.

[2] فخري صالح. أبو سلمى- التجربة الشعرية. ص15. قارن: المتوكل طه. حدائق إبراهيم. 32- 35.

Salah Dean Assaf, Hassan. *Nation Validation: Modern Palestinian*, Published in 1992 by the prestigious Columbia University Press.

3.1 الدفاع ضد الأخطار الخارجية:

إن الخطاب الشعري الذي يوجهه الشاعر للفلسطينيين، بسبب تراكم الأخطار الخارجية، يبث فيهم روح الوعي الوطني. ففي نهاية عام 1928 حصل ركود في الحركة الوطنية في فلسطين، لأسباب داخلية عربية المنشأ وخارجية ترتبط بالاستعمار. فألقى إبراهيم في الحفلة التي أقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس، قصيدة في ظلّ الروح الوطنية، كما انتشر الكثير ممن دعا إلى الوطنية، يحذر فيها النفوس من الأخطار المرتبطة بقضية شعب وارض، بصورة خطابية، قد تكون موجهة للشباب الذين تعقد عليهم الآمال للتخلص من الأخطار، داعيا إياهم للقيام بدورهم المترتب عليهم، متفائلا وآملا بذلك، فقد ورد في القصيدة وهي تحت عنوان (تفاؤل وأمل):

كفكفْ دموعَك، ليس ينفعُكَ البكاء ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ، فما شكا إلا الكسول
واسْلك بهمتكَ السّبيلَ، ولا تقُلْ كيف السّبيل
ما ضلَّ ذو أملٍ سعى يوماً وحكمتُهُ الدّليل
كلا، ولا خاب امرؤٌ يوماً ومقصدُه نبيل[1]

3.2 السخرية من سوء التصرف الوطني

قد تكون السخرية لدى الشاعر كوسيلة للهجاء السياسي والنقد الذاتي، فلما أدرك الشاعر المخاطر التي تحل بالوطن، بدأ يخاطب الجمهور ربما لتواطئه، في ظل هذا الركود وما زال يسمعنا شعاراته "يحيا الوطن"، فهذا ليس عتابا وإنما رسالة، ومفارقة تندرج فيها السخرية، يرسلها لكل إنسان فلسطيني، لأجل الدفاع عن الوطن، فيما إذا أدرك بان الأخطار تداهمه. ورد في القصيدة:

[1] ديوان إبراهيم طوقان. ص50.

(وطنٌ) يُبـاعُ ويُشــترى وتصيح: "فَلْيحيَ الوطن"!
لو كنتَ تبغي خيــرَهُ لبـذلتَ من دِمكَ الثّمـنْ
ولقُمتَ تَضْمِـدُ جرحَـهُ لو كنت من أهلِ الفطنْ[1]

ويخاطب القيادات في قصيدة "إلى بائعي البلاد" حيث يسخر منهم بواسطة توظيف المفارقة، وفيها يتحدث عن بلادٍ تشكل وطنًا يسكنه أصحابه الفلاحون الذين يقيمون، حتى يمارسوا مهنتهم، على أرض أخذ بعض ممتلكيها يبيعونها، لا يدركون مفهوم الوطن، تتلخص القصيدة بأهمية الأرض والناس والزمن. ورد في القصيدة:

باعوا البِلادَ إلى أعدائِهِمْ طمَعاً بالمالِ لكِنَّما أوطانَهم باعوا
قد يُعذرونَ لو أنَّ الجوعَ أرغمهم والله ما عطشوا يومًا ولا جاعوا
وبلغة العار عند الجوع تلفظها نفس لها عن قبول العار رادع
تلك البلادُ إذا قلتَ اسمُها وطنٌ لا يفهمون ودون الفَهْم أطماعُ
أعداؤنا منذُ كانوا صَيارفةٌ ونحنُ منذ هبطنا الأَرضَ زُرَّاعُ[2]

وهذه القصيدة لا تختلف عن قصيدة "أنتم" التي وردت في الديوان. وأيضا يستخدم الأسلوب الساخر فيها، لكن ينبههم أن يحافظوا على ما بقي من البلاد. يقول فيها:

أنتُم (المخلصون) للوطنيّة أنتم الحاملونَ عبءَ القضية
أنتُم العاملونَ من غيرِ قولٍ بارك اللهُ في الزنودِ القويــة[3]

[1] ديوان إبراهيم طوقان. ص51. يشير المتوكل طه في كتابه، حدائق إبراهيم. تشكيل الثالوث الشعري الفلسطيني لدى أبي سلمى، عبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان، كأدب ثوري ملتزم، ص64.

[2] ديوان إبراهيم طوقان. ص54- 55.

[3] ديوان إبراهيم طوقان. ص86.

وثمة قصيدة أخرى تنسجم مع القصيدة أعلاه، جاءت تحت عنوان "السماسرة"، حيث عرف الشاعر وجود عدد من أبناء فلسطين ممن يعمل في بيع الأراضي[1]، وأيقن إبراهيم أن هؤلاء السّماسرة هم عامل بارز في ضياع البلاد، وكان لا بد قبل أن يُطلق الشاعر صرخته الأقوى أن ينبه أبناء شعبه لخطورة ما يجري على الأرض، ويكشف التشوه الذي أصاب نظرتهم للقضية، وعدم رؤيتهم للمحتل رؤية حقيقية واعية، وهذا الدور هو الذي مارسه الشاعر على صعوبته وخطورته.

لقد عُرِفَ إبراهيم بتعاليه عن المجاملة، وتساميه عن الانزلاق فجاءت قصائده السياسية ملأى بالحسرة على وطن يُسرق من أهله، وكأنما يريد شاعرنا من كل فرد في فلسطين أن يكون ثائرا، مخلصا في ثورته، لا يرى بينهم متخاذلا يتعلل بالحلول في السياسة.

ورد في القصيدة طابع السخرية الذي جعل من إبليس يعلن إفلاسه أمام السماسرة:

أما سماسرة البلاد فعصبةٌ عارٌ على أهل البلاد بقاؤه
إبليس أعلن صاغرا إفلاسَه لما تحقق عنده إغراؤهـا

3.3 أهمية الأرض

إن للأرض حيزا في شعر طوقان، لأهميتها في الكيان الفلسطيني، فلا يمكن أن تكون هوية ووعي وطني دون مكان، وهي عديدة في الديوان، نأخذ على سبيل المثال قصيدته التي سجلت تاريخا للحركة الوطنية في فلسطين، وذاع صيتها في أنحاء العالم العربي جاءت تحت عنوان "**الثلاثاء الحمراء**"، فعلى أثر الاضطرابات والخلافات بين العرب واليهود في صيف عام 1929، (ثورة البراق) حول الأماكن المقدسة في القدس، قتل من قتل من الجانبين، فألقت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود

[1] ديوان إبراهيم طوقان. ص84.

وحوكموا، وصدرت أحكام الإعدام على كل من فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الله الزير من الخليل.[1]

فنظم شاعر فلسطين إبراهيم طوقان قصيدة مشهورة في هذا الأمر كان عنوانها (الثلاثاء الحمراء)، تتبع فيها الساعات الثلاث التي استغرقتها عملية الإعدام. وتقول فدوى طوقان بهذا الصدد "وفي نهار الثلاثاء، السابع عشر من حزيران سنة 1930، كان التكبير على المآذن، وقرع النواقيس في الكنائس، يتجاوب صداها في أرجاء فلسطين قاطبة، إذ في ذلك النهار نفذ حكم الإعدام بالشهداء الثلاثة في ثلاث ساعات متوالية، فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم وثالثهم عطا الله الزير، في سجن عكا وكان من المقرر رسميا أن يكون الشهيد عطا الله ثانيهم ولكنّ جمجوما حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته".[2]

حيث يستهل القصيدة بمشهد كأن المكان هو أول من عرف النبأ، والزمن أصبح عابسا لهول الموقف، بينما مراسيم الموت تنتظر شيئا. والذي يجذب النظر أن القصيدة استخدم فيها نظام الموشح، وهذا يعني أن الشاعر جند أسلوبا كلاسيكيا لرصد أحداث عصرية ووطنية، فضلا عن الموسيقى التي ظهرت في تنوع القوافي، وتكرار الحروف حيث وظفت لتتناغم مع الجو الحزين أو الكئيب، من جهة وكذلك لإظهار عظمة الحدث من جهة أخرى.[3] وكأن عنوان القصيدة يؤرخ الحدث، ورد في القصيدة:

---

[1] وصفت جريدة «الزهور» الحيفاوية (1930/6/19) يوم الإعدام على النحو التالي: لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما قبل 17 حزيران الرهيب، لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس، وولولت النساء، وتصاعد عويلها في البيوت.

[2] فدوى طوقان. أخي إبراهيم، ص23. يعقوب العويدات (البدوي الملثم). إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته. ص15؛ وليد صادق. شاعران من جبل النار: إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود. ص97-98.

[3] المتوكل طه. دراسة في الثلاثاء الحمراء، البحث عن شاعر آخر ص56؛ ووردت في كتابه، حدائق إبراهيم. ص330 وهي نفس المادة الموجودة في الكتاب المنفصل.

مقدمة

لما تَعرّضَ نجمُكَ المنحوسُ وترنَّحتْ بعُرى الحبالِ رؤوسُ
ناح الأذانُ وأعولَ الناقوسُ فالليلُ أكدرُ، والنهارُ عَبوس
طفقتْ تثورُ عواصفُ وعواطفُ
والموتُ حينًا طائفُ أو خاطفُ
والمعولُ الأبديُّ يمعنُ في الثرى ليردَّهم في قلبها المتحجِّرِ[1]

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الساعات الثلاث الرهيبة التي نفذ فيها حكم الإعدام بالشهداء الثلاثة حيث خُصصت لكل منهم ساعة، فيقول في الساعة الأولى المخصصة لفؤاد حجازي، ورد فيها:

قسمًا بروح (فؤاد) تصعدُ من جوانحهِ زكيّهْ
تأتي السّماءَ حفيّةً فتحلُّ جنَّتها العليّهْ

وفي الساعة الثانية المخصصة لمحمد جمجوم:

قسماً بروحِ (محمد) تلقى الرّدى حُلْوَ الورودِ
قسماً بأمِّكَ عند موتِكَ وهي تهتفُ بالنشيد

وفي الساعة الثالثة المخصصة لعطا الله الزير:

قسمًا بروحك يا (عطاء) وجنّةِ الملكِ القدير
وصغارِكَ الأشبالِ تبكي الليثَ بالدمعِ الغزيرِ

[1] ديوان إبراهيم طوقان. قصيدة الثلاثاء الحمراء، ص42- 49. المتوكل طه وآخرون، شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان. ص 107- 112.

الخاتمة

وأخيرًا ينهي القصيدة بهذه الخاتمة المميزة في كلماتها وصداها، حيث أنّ الشهداء الثلاثة في جنة الرضوان وقتئذ لا شكوى من الظالم والطغاة.

الخاتمة: الأبطال الثلاثة

أجسادهم في تربة الأوطانِ أرواحُهم في جنّةِ الرّضوانِ

وهناكَ لا شكوى من الطغيانِ وهناك فَيْضُ العَفْوِ والغُفرانِ

3.4 الفدائي في شعره

إن كلمة الفدائي لها رمز في الوعي الفلسطيني، ولطالما تناقلتها الألسن تعبيرا عن العزيمة والتضحية. ومن القصائد التي حظيت بشهرة، قصيدة الفدائيّ، فيوم عينت الحكومة المنتدبة يهوديًا بريطانيا الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين، أدرك الشاعر صدى هذا التعيين وآثاره، كمن له أحد الشبان في مدخل دار الحكومة في القدس، وأطلق النار عليه فجرحه. فما كان من إبراهيم إلا وأن حيّاه في قصيدته المذكورة أعلاه، حيث يستخدم الشاعر بداية الجملة الطلبية، ليخاطب لمن يسأل الفدائي عن أحواله، لكن لا داعي للسؤال لأن حاله حال وطنه، ومن ثم نلاحظ القافية المقيدة التي تنسجم مع المعاني المرسومة، ولا نغفل أن الشاعر يسقط الذاتية على الشعر، نعني أنه انشغل برسم ملاحم شخصية له مؤكدا أن البطل ليس آله، وإنما هو مشاعر ورؤيا وهموم وعزيمة.

ورد فيها:

لا تسلْ عن سلامتِهْ روحُه فوق راحتِهْ

بدّلتْهُ همومُهُ كفنًا من وسادته

يرقبُ الساعةَ التي بعدها هولُ ساعته

شاغلٌ فكرَ من يرا هُ، بإطراق هامته

بين جنبيه خافقٌ يتلظّى بغايته

من رأى فحمةَ الدجى أُضرِمتْ من شرارته

حمّلتْه جهنّمٌ طَرَفًا من رسالته[1]

ومن القصائد التي حظيت بشهرة، يعزز فيه الشاعر أهمية الوطن، قصيدة "موطني" نظمها عام 1934م وأصبحت النشيد غير الرسمي لفلسطين. وهي بمثابة حنين إلى الماضي، نعني فلسطين، وقد يكون فيها إشارة إلى حق العودة، وتعتبر قصيدة وطنية من الدرجة الأولى. ورد في مطلعها:

موطني

الجلالُ والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في رُباكْ

والحياةُ والنجاةُ والهناءُ والرجاءُ في هواكْ

هل أراكْ

سالمًا منعَّما وغانمًا مكرَّما؟

هل أراكْ في علاكْ تبلغ السِّماكْ؟

موطني[2]

[1] ديوان إبراهيم طوقان. ص 69.

[2] ديوان إبراهيم طوقان. ص195.

Khalidi Rashid. *Nation Validation: Modern Palestinian Literature and the Politics, Anthology of Modern Palestinian Literature*. New York: Columbia University Press. 2002.

3.5 النزاعات الداخلية

ثمة مسألة أخرى تناولها الشاعر، ترتبط بالنزاعات الداخلية، حيث كان الخصام أيضا بين الأحزاب العربية وقتئذ على أشده، بسبب انتخابات البلديات في المدن الفلسطينية، فيطلب منهم أن يتخذوا الحذر، ويوحدوا الصفوف، لأن ذلك قد يكون عونا للاستعمار. لأن المسألة قد تتحول من قضية وطن إلى قضية انتخابات. نأخذ على سبيل المثال قصيدة "يا قوم"، ورد فيها:

بَليت قضيتُكم فصارت هَيكلا يتهدّمُ
ضَمرت إلى (بلديةٍ) فيها العدا تتحكّمُ
يا قومُ ليسَ عدوّكم ممّن يَلين ويرحمُ
يا قومُ ليسَ أمامَكم إلا الجلاء فحزّموا.[1]

لا بد من الإشارة كذلك إلى أن الشاعر قد جذب الأنظار بشعره، وكأنه يعرف ما سيحل بالقضية الفلسطينية من هوان، وتمزق. ففي قصيدة "أيها العربي" نقول:

أمامَك أيها العربيُّ يومٌ تشيبُ لهولِهِ سودُ النَّواصي
وأنتَ كما عهِدْتُكَ لا تُبالي بغيرِ مظاهرِ العبثِ الرّخاصِ
فلا رحبُ القصور غدًا بباقٍ لساكنِها ولا ضيقُ الخصاصِ

في المطلع دلالة معنوية قوية، إذ يستخدم الكلمة "أمامك" ليظهر للقارئ أنه لا بد من مواجهة الأمور وأن الأخطار آتية. من جهة أخرى يدرك تماما لما سيحل بالقضية فيما بعد، لكنه لم يعش هذه الفترة التي ترتبط بنهاية الأربعينيات من القرن العشرين، حيث حدث ما "تشيب لهوله سود النواصي".

[1] ديوان إبراهيم. ص88.

هكذا إذن، عاش الفلسطيني في صراع مع الاستعمار ومع المحتل:

لنا خصمانِ: ذو حولٍ وطَوْلٍ وآخرُ ذو احتيالٍ واقتناصِ
تواصوا بينهمْ فأتى وبالاً وإذلالاً لنا ذاك التَّواصي
مناهجُ للإبادةِ واضحاتٌ وبالحسنى تُنفَّذُ والرَّصاص[1]

يذكر إحسان عباس "إن الشعر الفلسطيني الثوري لم يعن كثيرا بمشكلات هامة لها شانها في المعركة: التخلف الحضاري والفقر والجهل والمرض، ولم يهتم كثيرا بالشؤون الاجتماعية، وغفل الأخطاء الوطنية التي كانت ترتكبها القيادة الفلسطينية، وقصر الشعراء في وصف تدابير الاستعمار".[2]

نتائج الدراسة

للوطن في أشعار إبراهيم طوقان، حضوره المتميز. ويبدو أنه أدرك مبكرًا أن ضياع الوطن سيوقع أبناءه فيما وقعوا فيه، وارتقى بذلك إلى مرتبة الشاعر صاحب الالتزام. وكان طوقان ينظر إلى غير شعبه من الشعوب التي يكون ولاؤها الأساس للوطن لا للفرد.

إن طوقان ورفاقه على الدرب، في فترة الانتداب من الشعراء، قد عبروا عن الواقع الفلسطيني، حيث الخلاف بين الأحزاب السياسية والوطنية، والتمزق والتآكل في صفوفهم من جهة، وعن الروح الثورية التي يجب أن يتحلى بها كل فلسطيني من جهة أخرى.

[1] إحسان عباس. نظرة في شعر إبراهيم طوقان. ص218.

[2] إحسان عباس. الشعر في فلسطين حتى العام 1967، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع ، ص24- 25؛ نفس المؤلف. نظرة في شعر إبراهيم طوقان. ص25- 56.

لكن في سبيل الموضوعية لا نغفل أن حياة إبراهيم طوقان القصيرة لا يمكن أن تفي بجميع المتطلبات، فضلا أن الواقع المركب الذي يعيشه الفلسطينيون بين متخاذل وصارخ لم يكن سهلا، لكنه ارتقى بذلك إلى مرتبة الشاعر صاحب النبوءة.

إن الوطنيات لدى الشاعر، قد بثت في النفوس العزيمة أمام الأخطار الخارجية، فوقف الشاعر رمزًا للنضال الوطني، مذكرًا بالأرض والوطن، فرغم تعدد الموضوعات لدى الشاعر، يظل الغالب على شعره، محور الوطن، مبيّنا الواقع وساخرا من المتواطئين، وموقظا للضمائر في ظل معركة الوجود. لا نغفل أن الشاعر بأسلوبه الخطابي، والمشاعر الصادقة التي تنسجم مع كل موقف، أو حدث، قد وضع الأسس الفكرية والثقافية للشعر الفلسطيني المقاوم مع مطلع القرن العشرين.

المصادر بالعربية

أبـو حنـا، حنـا. **ثلاثـة شـعراء، "إبـراهيم طوقـان، عبـد الـرحيم محمـود، عبـد الكـريم الكرمي"** ، منشورات مجلة مواقف: 10 (1995): 52- 61 .

أبو عمشة، عادل أبو عمشة. "**الشهيد في شعر إبراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود**". مجلة جامعة بيت لحم/ المجلد 14 (1995): 59- 74.

أبو هيف، عبد الله. "تجارب أدبية: أربعون عاما على وفاة إبراهيم طوقان، إشارات حول الشاعر والوطن والنقد". **الموقف الأدبي:** 121 (1981): 65- 88.

الأسطة، عادل. "الوطن في أشعار إبراهيم طوقان". **مجلة جامعة النجاح**، عدد10، مجلد3 (1996): 81- 108.

بكار، يوسف. **إبراهيم طوقان دراسة جديدة ومختارات.** بيروت: الفكر العربي، 2007.

بكار، يوسف. **أضواء جديدة**. بيروت: د.ن، 2004.

بكار ، يوسف. أثر شوقي وحافظ إبراهيم في إبراهيم طوقان. **فصول**: 3 (1983): 82- 92.

جبران، سليمان. "**نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب**". الكرمل: 30 (2006): 51- 78.

جرار، وليد. **شاعران من جبل النار: إبراهيم طوقان ، عبد الرحيم محمود**. عمان: مطبعة الخالدي، 1984.

حسن، محمد عبد الله. **إبراهيم طوقان، حياته ودراسة فنية في شعره**، الكويت: د.ن، 2002.

الحكواتي، ماجد. **إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة**. الكويت، د.ن، 2002.

درويش، حمودة. **إبراهيم طوقان: حياته وشعره**. بيروت: دار العلم للملايين، 1975.

شرارة، عبد اللطيف. **إبراهيم طوقان، دراسة تحليلية**. بيروت: دار صادر، 1964.

شوملي، قسطندي. مدخل على دراسة الشعر الفلسطيني. **مجلة جامعة بيت لحم**، 4 (1985): ص19.

شوملي، قسطندي. **الصحافة العربية في فلسطين**. القدس: جمعية الدراسات العربية، 1990.

صالح، فخري صالح. **أبو سلمى- التجربة الشعرية**. بيروت: دار العلم للملايين، 1982.

الطريفي، يوسف علي. **إبراهيم طوقان حياته وشعره**. عمان: دار الفكر، 2008.

طوقان، فدوى طوقان. أخي إبراهيم. يافا: **سلسلة الثقافة العامة**، 1946.

طوقان، فدوى طوقان. **رحلة جبلية رحلة صعبة**. عمان: دار الشروق، 1988.

عباس، إحسان. الشعر في فلسطين حتى العام 1967، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الرابع (1990)، ص24- 25.

عباس، إحسان. **نظرة في شعر إبراهيم طوقان**. بيروت: دار النهضة العربية، 1975.

عبد اللطيف، عوني. **إبراهيم طوقان: حياته وشعره**. القاهرة: جامعة الازهر، 1979.

عرايدي، نعيم. **البناء المجسم: دراسة في طبيعة الشعر عند محمود درويش**. عكا: مؤسسة الأسوار، 1991.

العودات، يعقوب. (البدوي الملثم)، **إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته**. بيروت: المكتبة الأهلية، 2004.

فروخ، عمر. **شاعران معاصران، طوقان والشابي**. بيروت: المكتبة العلمية، 1954.

قرقطي، فيصل. **عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى**. الطيبة: مركز إحياء التراث، 1991.

المتوكل، طه. **حدائق إبراهيم. أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2004.

المتوكل، طه. **إبراهيم طوقان: دراسة في شعره**. عمان: دار اللوتس، 1992.

المتوكل، طه. **الساخر والجسد**. نابلس: د.ن، 1994.

المتوكل، طه. **الكنوز: ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان**. رام الله، د.ن، 1999.

المتوكل، طه. **من أوراق الشاعر إبراهيم طوقان**. عمان: دار الشروق، 2002.

المتوكل، طه، **دراسة في الثلاثاء الحمراء**، البحث عن شاعر آخر. القدس: د.ن، 2003.

المتوكل، طه وآخرون. **شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان**، عمان: دار الفكر، 2006.

المتوكل، طه. **هذا ما لزم، رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى**. رام الله: د.ن، 2000.

المتوكل، طه وآخرون. **شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان**. عمان: دار الفكر، 2006.

المحاسني، زكي. **إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب**. القاهرة: دار الفكر العربي، 1956.

مناع، عادل، **أعلام فلسطين في اواخر العهد العثماني 1800- 1981**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995.

ياغي، عبد الرحمن. **حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة**، بيروت: دار النهضة، 1981.

ياغي، عبد الرحمن. **في الأدب الفلسطيني قبل النكبة وبعدها**. الكويت، د.ن، 1983.

ديوان إبراهيم طوقان، عكا: دار الأسوار، د.س.

المصادر بالعبرية:

موريه، شموئيل. التيارات الفكريّة في الشعر العربي المعاصر، **الشرق الجديد**، 19 (1968)، ص31-49.

موريه، شموئيل. قلب امرأة من الشرق - دراسة في شعر فدوى طوقان، **قوس قزح**. (1969)، ص112-123.

عنابسة، غالب. روايات شفوية مختارة عن فضائل مدينة نابلس في أدب فضائل فلسطين، **كاتيدرا**، 22، معهد يد إسحاق بن تصفي، القدس، ص21-30.

المصادر بالانجليزية:

Abu Ghazaleh, A. "Arab Cultural Nationalism in Palestine During the British Mandate", *Journal of Palestine Studies*, v. 3, 1972, pp. 37- 63.

Assaf, Salah Dean Hassan. *Nation Validation: Modern Palestinian***,** prestigious: Columbia University Press. 1992.

Bajrakarevic, F. "Ibn dawud", In: *EI²* v. 9,Leiden, 1993, p.90.

G. Le Strange, *Palestine under the Muslims*, London: S. N 1965, pp. 197- 200.

Jayyusi, Salma khadra . *Trends and movements in Modern Arabic Poetry*, Brill-Leiden: 1977, pp. 285-300.

Jayyusi, Salma khadra. (Ed): *Anthology of Modern Palestinian Literature.* Columbia U. Press, NY, 1992.

Khalidi, Rashid. *Nation Validation: Modern Palestinian Literature and the Politics, Anthology of Modern Palestinian Literature*. New York: Columbia University Press. 2002.

Margoliouth D.S. Kitab al-Zahrah, *Journal of the Royal Asiatic Society*, v. 67, 1935, pp.188- 198. And this Book edited by A.R. Nickel in collaboration with Ibrahim Tuqan, Chicago University, 1932.

Reincarnating Palestine literature: British Modernism and the British of al-hadatha, in: *Britain and the Muslim world*: historical Perspectives, University of Exter, 17- 19, April, 2009.